**المحاضرة الخامسة**

**نبذة تاريخية عن الاسرة حجمها- نسبها- وظائفها**

تعد الاسرة نواة المجتمع وقاعدته الاساسية وتقوم على اوضاع ومصطلحات يقرها العقل الجمعي، فالزواج والقرابة والعلاقات الزوجية والواجبات المتبادلة بين اعضاء الاسرة يحددها المجتمع. وللأسرة اهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع معاً فمنها يستقي الافراد العادات والاعراف وقواعد السلوك كما انها دعامة الدين والوصية على طقوسه فضلاً عن انها الجماعة الاجتماعية الاولى التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية والمصدر الذي تشبع فيه الحاجات الاساسية كما انها الوسط الذي اصطلح عليه المجتمع لتحقيق دوافع الانسان الطبيعية والاجتماعية مثل بقاء النوع وتحقيق الغاية من الوجود الاجتماعي فضلاً عن اشباع الدوافع الجنسية واشباع عواطف الابوة والامومة والاخوة ايضاً ويمكن القول ان تلك الوظائف التي تقوم بها الاسرة هي وظائف تستمر بمدد زمنية طويلة وذلك يعود الى روابطها الدائمية وتلك ميزتها عن بقية الجماعات الاجتماعية.

واخيراً ان الاسرة نظام اجتماعي مفتوح يؤثر ويتأثر سلباً او ايجاب بالأنظمة الاجتماعية الاخرى.

تختلف النظم الاسرية باختلاف المجتمعات والبيئات التي وجدت فيها كما انها تختلف في المجتمع الواحد من عصر الى اخر باختلاف ما اتفق عليه في مختلف مجالاتها السياسية والاقتصادية والتربوية والقضائية وتمتاز به شخصيتها الجمعية وما يكتنفها من ظروف في مجالات الحياة شتى.

لقد كانت النظم الاسرية واسعة كل السعة، اذ تضم الاسرة كل افراد العشيرة ولم يكن هناك فرق بين اسرة وعشيرة، فقد كان افراد العشيرة الواحدة يرتبطون بروابط قوية ومتحدة وتلك لا تقوم على صلات الدم انما كانت قائمة على اساس انتماء الافراد لتوتم[[1]](#footnote-1)\* واحد مما يجعلهم افراد اسرة واحدة بغض النظر هم طبيعة روابطهم البايولوجية ذلك ان درجة القرابة التي تربط الابن بأبويه او احدهما لا تضيف شيئاً على درجة القرابة التي تربطه بأي فرد اخر من افراد عشيرته وهذا ما كان سائداً عند معظم العشائر التوتمية عند سكان استراليا.

وبالانتقال الى مرحلة اكثر تعقيداً في تاريخ الانسانية نجد ان نطاق الاسرة اخذ يضيق عما كان عليه في المجتمعات التوتمية واصبح خاضعاً لتصرفات كبير الاسرة وقائماً على مصطلحات يحددها المجتمع مثل القبول والادعاء والتبني والاعتراف. فقد كانت الاسرة في المجتمعات اليونانية والرومانية القديمة تتضمن جميع الاقارب وكل من يدعي قرابتهم او يتبناهم رئيس الاسرة بوصفهم افراداً في الاسرة ولهم من الحقوق والواجبات كبقية الافراد والاخرين وعلى هذا الاساس فإن الرابطة القرابية كانت قائمة على الادعاء وليس على صلات الدم.

اما عن الاسرة عند العرب في الجاهلية فكانت تتضمن جميع الاقارب من الذكور وتتضمن كذلك الموالي والادعياء. كما كانت الرابطة القرابية قائمة ايضاً على الادعاء وليس على صلات الدم فكان الابن لا يرتبط بأبيه الا اذ اعترف الاخير به. لكن الشريعة الاسلامية وتعاليمها السماوية حاربت تلك التقاليد وحرمت ان يدعى فرداً الى غير ابيه ود جاء في التنزيل القرآني ما يؤكد ذلك كقوله تعالى "وما جعل ادعياءكم ابناءكم، ذلكم قولكم بأفواهكم، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل". وقوله عز وجل (ادعوهم لإبائهم هو اقسط عند الله، فإن لم تعلموا اباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم).

وبذلك اصبح الابن يرتبط بأبيه من غير حاجة الى اعترافه به اعترافاً صريحاً وذلك بشرط ان يكون ثمرة صحيحة قائمة على عقد زواج. وهكذا اخذ نطاق الاسرة يضيق شيئاً فشيئاً حتى وصل الى الذي استقر عليه الان في اغلبية المجتمعات المعاصرة. ويمكن القول ان الفرد ما زال ينتمي الى اسرتين واحدة عن طريق ابيه والاخرى عن طريق امه ويرتبط افراد الاسرتين بشبكة من الروابط الاجتماعية والقانونية وبمجموعة من الحقوق والواجبات فضلاً عن انتمائه الى اسرته الخاصة المتكونة من ابويه واولادهما.

مما تقدم كان عن تطور الاسرة من حيث اتساعها، اماكن نظام النسب ومحور القرابة فيما فقد تباين هو ايضاً بتباين المجتمعات وما اتفق عليه من نظم وقواعد لكن الكثير من الدراسات الاجتماعية اكدت ان محور القرابة في فجر الانسانية كان يدور حول الام وعصبيتها وذلك لأن علاقة الام بأبنائها واضحة ومحددة وحيث كان الاباء يعيشون معظم اوقاتهم بعيداً عن بيوتهم اما في رحلات الصيد او جرياً وراء الاقوات.

واما الام فكانت وحدها المسؤولة عن رعاية ابنائها لذا فإن الاسرة قامت على سلطتها ونسب القرابة اليها وعندما استقرت الحياة الاجتماعية الى حد ما استطاع الرجل ان يصل الى قمة الاسرة فظهر النظام[[2]](#footnote-2)\* الابوي واصبح الاب محور القرابة وعصب الاسرة.

اما من حيث انواع نظم النسب فقد نظام الانتساب الى الام وأقاربها، اي ان الابن يرتبط بصلة قرابية الى الام واقاربها، اما أبوه واقاربه فيعدان اجانب عنه وهذا ما وجد عند العشائر الاسترالية.

واحياناً يرتبط الابن بصلة قرابية الى الاب اما امه واقاربها فيعدون اجانب عنه وهذا ما وجد عند العشائر الاسترالية والامريكية. وفي مجتمعات اخرى يرتبط الابن بصلة قرابية الى الناحيتين مع ترجيح ناحية الاب على الام كما هو الحال في غالبية المجتمعات الاسلامية، ذلك ان الشريعة الاسلامية تعترف بقرابة الاسرتين مع ترجيح قرابة الاباء على الامهات من حيث الحقوق والواجبات ومما يتعلق بالميراث والنفقة وغير ذلك. وقد لا يكون هناك ترجيح لناحية على اخرى كما هو الحال في المجتمعات الاوربية.

واخيراً قد تكون الرابطة القرابية معتمدة على اساس انتماء الافراد لتوتم واحد وهذا ما وجد عند العشائر الطوطمية وهذا النظام يماثل نظام الادعاء عند المجتمعات الرومانية واليونانية القديمة.

اما عن طبيعة الوظائف التي تقوم بها النظم الاسرية فهي قد اختلفت باختلاف المجتمعات والبيئات والعصور، فقد كانت في اقدم عهودها شاملة لمناشط الحياة الاجتماعية كلها مثلما كان عند معظم العشائر البدائية والطوطمية وعند قدماء اليونان وعند العرب في الجاهلية، اذ كانت جميع الهيئات والمؤسسات الاجتماعية والسلطات المعروفة في المجتمعات المعاصرة متمثلة في الاسرة بوصفها مؤسسة سياسية وقانونية واقتصادية ودينية وتربوية.

اما الان فإن الاسرة فقدت وظائفها التقليدية لجانب مؤسسات وهيئات اخرى لكن ذلك لم يقلل من اهميتها بوصفها ما زالت تحتفظ بوظائف ذات اهمية مميزة مثل الوظيفة البايولوجية ووظيفة التنشئة الاجتماعية فضلاً عن توفير الاشباعات النفسية والعاطفية.

1. (\*) التوتم عبارة عن نوع من الحيوان او النبات تتخذه العشيرة (رمزا لها ولقب لجميع افرادها وتعتقد انها تؤلف معه وحدة اجتماعية وتنزله وتنزل الامور التي ترمز اليه منزلة التقديس. [↑](#footnote-ref-1)
2. \* لقد حاول المفكرون تفسير انتقال القرابة من الام الى الاب في ضوء عدة اسباب لعل اهمها:- اكتساب الرجل القوة العضلية في مرحلة الصيد ومحاولته فرض سيطرته على المرأة، وظهور الزراعة واستقرار الزوج في ارضه الى جانب زوجته وابنائه واستعانة الرجال بالارقاء والموالي في المتطلبات الزراعية فأضطر رب الاسرة الى الحاقهم باسرهم واعترافهم بهم، والانتقال من عبادة الطواطم الى عبادة الارواح والاجداد ونسب الافراد الى عصبيات معروفة تاريخياً. [↑](#footnote-ref-2)